

### المبحث الثالث

## الحداثة بين الفكر والأدب

الكلام في هذا المبحث يدور حول محورين، أو يفهم من خلال الإجابة على سؤالين اثنين: الأول: ماهي العلاقة بين الأدب والفكر؟ والثاني: هل الحداثة مذهب أدبي أو مذهب فكري؟ فلإجابة عن السؤال الأول أقول: إن كثيراً من الحداثيين يعتقدون أن الأدب يجب أن ينظر له من الناحية الشكلية والجمالية فقط، بغض النظر عما يدعو إليه ذلك الأدب من أفكار، وما يستخدمه من مصطلحات. وهذا هو ما يعرف بمقولة (الأدب للأدب)، أو (الفن للفن)، والتي تحصر الجمال في الشكل، وتجعل الجمال ذاتياً في إدراكه، وتحرر الفنان من كل قيد. ويعتبر فكر الفيلسوف (كانت)<sup>(١)</sup> وأتباعه من أهم المصادر التي اعتمدوها في هذا المجال، فعندهم ((الفن مستقل، والفن غاية وليس وسيلة، وكلفنان يهدفان إلى مأسوى الجمال فليس بفنان))<sup>(٢)</sup>. وبنفس هذا المعنى يتكلم (بودلير) عن الشعر فيقول: ((لا يمكن أن يتمثل الشعر بالعلم أو بالخلق، وإلا كان مهتداً بالموت أو الخسران، فالشعر ليس موضوع الحقيقة، وليس له من موضوع سوى الشعر نفسه))<sup>(٣)</sup>، وهذا الموضوع دائماً ما يذكره الحداثيون في كتبهم ومقالاتهم ويعتبرون ((أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست إلزاماً إجبارياً، فاللفظ يستطيع أن يكون إشارة حرة، تبحث دائماً عن معنى، وقد يستطيع الشاعر أن يمنحها معناً جديداً لم يكن لها من قبل، وقد يستطيع القارئ أيضاً أن يمنحها ذلك المعنى))<sup>(٤)</sup>. ونجد أن من بين الذين يدعون إلى هذه الفكرة، الناقد (عبد الله الغدامي) فهو يدعو صراحة إلى وجوب الفصل بين الأفكار

(١) عمانوئيل كانت أو كانط، ولد عام (١٧٢٤م) وتوفي عام (١٨٠٤م)، ألماني الجنسية، أثر في عصره وشرط الفلسفة الحديثة إلى شطرين، ما قبل كانت وما بعده، وسيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمته، تقوم فلسفته على النزعة العقلية ثم النزعة التجريبية. ينظر: الموسوعة الفلسفية، لجنة من الأكاديميين السوفيت، ص ٣٧٢، ومعجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٧٤.

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٤) الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، ص ٦٦، وللاطلاع على موقفهم أكثر في هذه المسألة ينظر: المصدر نفسه، من ص ٥٦-٨٦.

والعقائد، وبين الممارسة النقدية<sup>(١)</sup>. ولكن عند بحث هذه المسألة نجد أن السؤال الذي ابتدأنا به هذا المبحث ينبغي أن تعاد صياغته لتكون: هل يخلو الأدب من فكر؟ وهذا راجع بالحقيقة إلى أن العلاقة بين الأدب والفكر تكاد تكون علاقة تلازم، فلا يخلو أدب من فكرة ينطلق منها، أو يدعو إليها ويعبر عنها، بشكل مباشر أو غير مباشر. وصدق الشاعر حين قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالفكر يُعرفه البعض بأنه: (( صناعة العقل للإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة سواء أكان صواباً أو خطأ ))<sup>(٢)</sup>. أما الأدب فهو (( جزء من الحياة، بل يمكن الحكم عليه من خلال تعبيره عن الحياة ))<sup>(٣)</sup>، والأدب - سواء كان شعراً أم نثراً أم غيرهما - هو فعل إنساني، والفعال للإنساني لا بد أن يخضع لتأثيرات، ومن هذه التأثيرات العقائد والأفكار والعوامل النفسية والاقتصادية والسياسية.... الخ. ولكن مهما كان هذا المؤثر فإن ذلك الإنسان الأديب كوّن عنه فكرة أثرت فيه وأنتج أدبه المتأثر بهذه الفكرة. وهذا ما أثبتته دراسات عديدة لآثار الفكر على الإنتاج الأدبي<sup>(٤)</sup>. ولكل من الباحثين تسميته الخاصة لهذه المسألة - تأثير الفكر على الأدب - فبعضهم يسميها (الموقف الفكري)، وبعضهم ( أدلة الأدب )، والبعض الآخر يسميها (الالتزام)<sup>(٥)</sup>. والالتزام هو: (( اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان، لا مجرد تسليّة غرضها الوحيد المتعة بالجمال ))<sup>(٦)</sup>، ولذلك اعتبروا أن من الخطأ تقسيم اللغة إلى

(١) ينظر: صحيفة الشرق الأوسط ١٠ / ٣ / ١٩٨٧، عبد الله الغدامي، ص ١٣.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي ص ٤٢.

(٣) الأدب الفلسفي، د. حازم سليمان الناصر، ص ٢٣.

(٤) ينظر: الأديب والالتزام للدكتور نوري حمود القيسي، وكتاب الالتزام في الشعر العربي للدكتور أحمد أبو حافة.

(٥) ينظر: الأديب والالتزام، ص ٧.

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص ٥٨.

لغة الفكر، مقابل لغة الانفعال التي يعتبرونها اللغة الأدبية، وذلك لأن للأدب جانبه الفكري الخاص الذي لا يمكن إغفاله<sup>(١)</sup>. ولهذا يقرر بعض الباحثين بأن (( البحث في الأدب ومسائله أرتبط أوثق الارتباط بالنظر في الإنسان ومشكلاته الخلقية والاجتماعية ))<sup>(٢)</sup>، ويكاد الشعراء اللبنانيون يتفقون على أن الأدب هو: جهد لخلق الحياة والتعبير عنها، وأن الفن هو: خطوة من المعروف الظاهر نحو المجهول الخفي، وأن الفنون جميعها تلتقي في نقطة واحدة، هذه النقطة تمس الوجود الإنساني ماهيته، وأن الأدب والشعر ماهما إلا ثوب للحقيقة الفكرية<sup>(٣)</sup>.

فالشعر (( هو تعبير عن رؤية الشاعر للعالم، والرؤية ليست اجتماعية صرفاً، ولا ذاتية صرفاً، وإنما اجتماعية من خلال الذات....، وبعبارة أخرى عدم فصل الرؤية الفنية عن الرؤية الفكرية، مهما كان نوعها ومستواها ))<sup>(٤)</sup>، وأكثر من ذلك أن من دعاة الحداثة من لا يؤمن بفصل الأدب عن العقيدة والفكر، فهذا ( عبد العزيز المقالح )<sup>(٥)</sup> وهو من كبار دعاة الحداثة في اليمن يقول: (( ليس هناك أدب يستحق التسمية إلا وهو يعبر عن أيولوجية معينة...، ومن هنا فعلى الأديب-شاعراً كان، أو كاتباً - الذي يؤمن بفكرة ما، أو أيولوجية معينة أن يعرف أولاً كيف يلتزم، وكيف يعتنق هذه الفكرة، أو هذا الأيولوجية، ثم عليه ثانياً أن يعرف كيف

(١) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) النقد الأدبي الحديث، ص ١٩.

(٣) ينظر: المجموعة العربية، جبران خليل جبران، ص ٥٠١، والمجدلية، سعيد عقل، ص ٢٢، والغربال، ميخائيل نعيمة، ص ١٢٤، ورياح حجرية، محمد علي شمس الدين، ص ٧٩، وفي قضايا الشعر العربي المعاصر دراسات وشهادات، ص ١٣٠.

(٤) في قضايا الشعر العربي المعاصر دراسات وشهادات، ص ١٣٠.

(٥) عبد العزيز المقالح أحد دعاة الحداثة في اليمن، وهو صاحب ديوان ( الكتابة بسيف الثائر على بن الفضل)، الذي أثار جدلاً واسعاً في وقته لما يتضمن من ألفاظ ساخرة من الله تعالى. حصل على الدكتوراه عام (١٩٧٧م) في موضوع ( الشعر العامي في اليمن) وعمل مندوباً لليمن في جامعة الدول العربية، ودرّس في جامعة صنعاء، ورأس مركز الدراسات والبحوث اليمنية. ينظر: هموم الثقافة العربية، فرحان صالح، ص ٣٣٩، والحداثة في ميزان الإسلام، ص ٨٦.

يعبر عنها تعبيراً فنياً، يعود عليها بالمنفعة...، فالعلاقة بين الأدب والأيدولوجيا، تشبهني معظم الأحيان العلاقة الوطيدة بين الصوت والصدى...، وقلت ذات مرة: إن المجانين وحدهم هم الذين يطلقون صراخاً بلا معنى<sup>(١)</sup>. وهكذا نرى أن المذاهب الأدبية هي في الحقيقة اتجاهات فكرية وفلسفية، فعندما نبحث عن مصطلح (المذهب الأدبي) نجد أنه يطلق على مجموعة المبادئ والأسس الفنية والفكرية، التي يدعو إليها نقاد، يطبقها أدباء في إنتاجهم الأدبي، ونجد أن هناك أموراً لا بد منها لقيام المذهب الأدبي، منها:-

أولاً:- وجود فلسفة تحمل قيماً جديدة.

ثانياً:- وجود أدباء وفلاسفة يتأثرون بهذه القيم الجديدة، فيطبقونها عبر وسائلهم الأدبية.

ثالثاً:- وجود نقاد يتحمسون للقيم الجديدة، يعدون لها القواعد الفلسفية، لتتطلق منها<sup>(٢)</sup>.

ونجد أن من الباحثين من يُعرّف المذهب الأدبي بأنه: ((اتجاه فكري أو تعبيرى، له خصوصيات في المضمون والأسلوب، ينضوي تحته أعلام من الفلسفة والأدباء، يطبقون أصوله، ويرفدونهم بخصوصياتهم تأثراً وتأثيراً<sup>(٣)</sup>). وعلى أية حال فإن مقولة الأدب الأدب أو الفن للفن هي أيضاً معتمدة على فكر نابذة منه.

(١) هموم الثقافة العربية، ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) ينظر: مذاهب الأدب الغربي، عبد الباسط بدر، ص ٢٦-٢٧، وللاستزاد في نظر كتاب الأدب الفلسفي للأستاذ حازم سليمان الناصر.

(٣) مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، ياسين الأيوبي، ص ١٥، وينظر: الكلاسيكية، عبد الحكيم حسان، ص ٤.

وينبغي أن ننبه هنا إلى أن جميع ما مر ذكره من علاقة بين الأدب والفكر هو بصورة عامة، وبغض النظر عن كوننا مسلمين، أما بالنسبة لنا كأمة إسلامية فإن الأدب سواء ارتبط بالفكر والعقيدة أم لا، هو من أفعال الإنسان التي سيحاسب عليها. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>، وذكر في كتب التفسير أن الإمام أحمد كان يئن في مرضه، فبلغه أن الملك يكتب كل شيء حتى الأنين، فلم يئن الإمام أحمد حتى مات رحمه الله<sup>(٢)</sup>. وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (( ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة وسمانه؟ قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال كفّ عليك هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))<sup>(٣)</sup>. فنحن نرى هنا أنه بالنسبة للفكر الإسلامي - الذي يستمد أفكاره من الكتاب والسنة بشكل رئيس - المسألة محسومة، ففي جميع الأحوال لا يوجد مبرر لخروج الأديب في أدبه على الشرع، لأن المسلم محاسب على ما يقول، لاسيما إذا كان ذلك القول فيه سبب ظاهر (لله) جل وعلا، أو استهزاء به سبحانه. ولو شئت لأوردت عشرات الصفحات من ذلك الشعر - إذا صحت تسميته بذلك - الذي يتعرض بالإساءة لكثير من مقدسات المسلمين، ولكني سأكتفي بذكر شيء قليل من شعر السياب<sup>(٤)</sup> كنموذج على غيره، فهو يقول في إحدى قصائده:

((فنحن جميعاً أموات

(١) سورة ق آية ١٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ٤/٢٨٥.

(٣) سنن الترمذي ١١/٥ رقم (٢٦١٦) وقال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح، وسنن النسائي ٦/٢٩٤ رقم (١١٣٩٤)، وسنن ابن ماجه ٢/١٣١٤ رقم (٣٩٧٣)، ومسنند الإمام أحمد ٥/٢٣١ رقم (٢٢٠٦٩)، ورواه من طرق أخرى أيضاً، وصححه الحاكم في مستدركه ٢/٤٤٧ رقم (٣٥٤٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) بدر شاكر السياب، شاعر عراقي معروف ولد عام (١٩٢٦م) في قرية جيکور جنوب البصرة، تخرج من دار المعلمين، وتقلب في عدة وظائف، وأصيب بالشلل في آخر حياته، ومات في الكويت عام (١٩٦٤م)، ويقال أنه أول من كتب الشعر الحر. ينظر: تأريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبيش، ص ٦٥٥، والصراع بين القديم والجديد، محمد حسين الأعرجي، ٢/١٢٥٢.

أنا ومحمد والله

وهذا قبرنا: أنقاض مقبرة معفرة

عليها يكتب اسم محمد والله...<sup>(١)</sup>، إلى آخر هذا الكلام المليء بالكلمات التي لا تقال بحق الله تعالى أو نبيه ﷺ. وأعود وأكرر أن هذا غيض من فيض. ولكن، وللأمانة فإن كثيراً منهم يذكرون أنهم عندما يذكرون لفظ الجلالة مثلاً، لا يقصدون به الله سبحانه وتعالى ولكن يرمزون به إلى أشياء أخرى مثل: الدين، أو التعصب الديني، وهكذا، أو بصورة عامة يقصدون بها أشياء غير معناها الحقيقي، على سبيل المجاز، ومن ثم يعيبون على من يعترض على ما يقولون ويصفونه بالجهل. فهذا (أدونيس) مثلاً عندما يعرف (الثابت) في مقدمة كتابه (الثابت والمتحول) يقول: ((أعرف الثابت، في إطار الثقافة العربية، بأنه الفكر الذي ينهض على النص، ويتخذ من ثباته حجة لثباته هو، فهماً وتقويماً، ويفرض نفسه بوصفه المعنى الوحيد الصحيح لهذا النص، وبوصفه، استناداً إلى ذلك، سلطة معرفية)) ثم يذكر في الهامش تعقياً على ذلك ما نصه: ((ربما أكرر هنا. لكنه تكرار ضروري، خصوصاً في ضوء الالتباس الذي لا يزال يواجه بعضاً من قراء هذا الكتاب. وهو التباس يؤدي إلى فهم خاطئ كلياً. أقول مثلاً: يبدو الإنسان في منظور الثقافة السائدة: كأنه لا يعيش إلا في الماضي. أو تبدو الخمرة في هذا المنظور الصوفي، كأنها الله فيشرح هؤلاء كلامي، قائلين: يرى أدونيس أن الإنسان العربي لا يعيش إلا في الماضي، ويرى أن الخمرة هي الله ثم (يستنتجون) أن أدونيس ضد الإنسان العربي، والثقافة العربية، وأنه إلى ذلك ملحد كافر... الخ وآراء هؤلاء في الكتاب هي كلها من هذا القبيل، ومن هذا المستوى فهم بدئياً يشوهون ما أقوله، إما عن قصد سيء،

وإما عن جهل بئس. بل يبدو أنهم لم يقرؤوا حتى عنوان الكتاب...<sup>(١)</sup> وهذا الكلام وإن كان فيه شيء من الحق، حيث ينبغي الرد على أي شخص بما يقصده هو؛ ولكن هذا لا يعطي مبرراً لأصحاب هذه المقولات في الإساءة للمقدسات، مهما كانت مقاصدهم، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، بل إن للوسائل في الإسلام أحكام الغايات، هذا فضلاً عن أنه لم يعهد استخدام هذه الكلمات بالمجاز الذي يقصدونه.

وحتى لانطيل أكثر في هذا الموضوع ننتقل إلى المحور الثاني في هذا المبحث، وهو الإجابة عن سؤال: هل الحداثة مذهب أدبي أو فكري؟ فأقول بداية: لقد ثبت مما سبق أن المذاهب الأدبية هي في الحقيقة مذاهب فكرية، فالنتيجة النهائية المراد الوصول إليها من هذا السؤال تكاد تكون محسومة، فسواء كانت الحداثة مذهب أدبي أو فكري، فهي بالأصل ترجع للفكر، ولكن الإجابة عن هذا السؤال تكون لها فائدتان: الأولى: محاولة حسم مسألة كثر الجدل حولها وخفيت على كثير من المتقنين، فكثير منهم يعتقد أن الحداثة مذهب أدبي. الفائدة الثانية: هي أن الإجابة على هذا السؤال تُثبت الأصل الفكري للحداثة لمن لم تثبت له العلاقة بين الأدب والفكر من خلال الجواب عن السؤال الأول في هذا المبحث. فهو يعتقد أن لا علاقة بين الأدب والفكر، وأن الحداثة تختص بالأدب، فبالتالي لا علاقة بين الحداثة والفكر. فتكون له فائدة في الإجابة على هذا السؤال. فأقول: إن الحداثة مذهب فكري شامل، لجميع مناحي الحياة، وإن الأدب ما هو إلا مظهر من مظاهرها ووسيلة من وسائلها. وهذا الأمر ينبغي أن لا يختلف فيها ثنائان، خصوصاً مع وجود كثير من النصوص لأرباب الحداثة ومفكريها يذكرون فيها أن الحداثة مذهب فكري شامل ولا يختص بالأدب، وسأذكر بعضها في هذا المبحث. ولكن قبل ذلك أود الإشارة إلى أمر مهم، هو أن الحداثة عند أول نشأتها في الغرب - كما بينا في مبحث سابق - قد

(١) الثابت والمتحول، ١/ ١٣.

بدأت بالتدريج ثورة على الأوضاع المتخلفة التي كانت تعيشها أوربا في ذلك الوقت، سواء كانت اقتصادية، أم اجتماعية، أم سياسية، أم ثقافية، والتي تسبب بها أو على الأقل جزء كبير منها تحالف رجال الكنيسة مع رجال الحكم، إلى أن نتجت الحادثة. فأنا هنا أتساءل، هل من المعقول أن تُنتج الثورة على هذه الأوضاع مذهباً يُعني بالأدب فحسب؟ وهل كانت مشكلتهم أدبية فقط فينتجون حلاً أدبياً فقط؟! أنا لا أعتقد ذلك، ولا أعتقد أنه أمر معقول، لأنه لما كانت مشكلاتهم في جميع ما تقدم من مجالات، كان واجباً على المذهب الذي يقدم نفسه على أنه الحل، أن يعطي حلولاً وأجوبة لجميع المشكلات المتقدمة، فبهذا تصبح الحادثة شاملة لجميع مناحي الحياة وليست مختصة بالأدب، وتصبح كما يعتبرها البعض ((مشاركة ومساهمة في التحول الكبير الذي تشهده الإنسانية))<sup>(١)</sup>، فالحادثة مفهوم شمولي يتناول جميع نواحي الحياة، فهذا (أدونيس) منظر الحادثة يقول: ((الكتابة الإبداعية هي التي تمارس تهديماً شاملاً للنظام السائد وعلاقاته، أعني نظام الأفكار))<sup>(٢)</sup>، ويقسم (أدونيس) الحادثة إلى ثلاثة أقسام هي: الحادثة العلمية، وحادثة التغيرات الثورية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والحادثة الفنية<sup>(٣)</sup>، ثم بين أن هذه الأقسام تشترك في: ((خصيصة أساسية هي أن الحادثة رؤياً جديدة، وهي جوهرية رؤياتنا حول الممكن واحتجاج على السائد))<sup>(٤)</sup>. لابلان بعض الحداثيين يصرح بما لا يقبل الشك أن ((الحادثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف، وهي لا ترتبط بزمن، وكل ما في الأمر أن جديداً ما طرأ على نظرنا إلى

(١) معالم على طريق تحديث الفكر العربي، للدكتور معن زيادة، ص ٦٧.

(٢) زمن الشعر، أدونيس، ص ٢٩٦.

(٣) ينظر: فاتحة لنهايات القرن، أدونيس، ص ٣٢١.

(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.



الأشياء فانعكس في تعبير غير مألوف))<sup>(٥)</sup> وهذا - على ما أعتقد - يبين المغزى الأساسي في هذا المبحث، وهو أن الحداثة مذهب فكري وأن الأدب لا يعدوا أن يكون مظهراً و انعكاساً من مظاهرها وانعكاساتها، مع كونه وسيلة من وسائل نشرها. فدور الأدب الحقيقي - عندهم - هو (( النقد والمعارضة والتنبؤ، والعمل على تغيير المجتمع والعالم، والتقدم بهما عن طريق إعادة خلقها فنياً، وهكذا كان الحال بالنسبة لحركة الشعر العربي الحديث))<sup>(١)</sup>. وأقوال الحداثيين في هذا المجال - أي بيان شموليتها وعدم اقتصرها على الأدب - كثيرة تملأ عشرات الصفحات، ولكن يحصل المقصود بذكر بعضها، ومنها، تعريف الحداثة بأنها: ((مفهوم شمولي، هو أوسع مما منح لنا، ومما ارتضينا لأنفسنا، إن الحداثة نظرة للعالم أوسع من أن تؤطر بقالب للشعر وآخر للقصة وثالث للنقد، إنها النظرة التي تمسك الحياة من كتفيها تهزها هزاً، وتمنحها هذا البعد الجديد))<sup>(٢)</sup>. ويقسم بعض الباحثين الحداثة إلى قسمين: حداثة أدبية، وحداثة فكرية، فيقول في هذا السياق: ((وفي اعتقادي أنه يجب أن يكون هناك تفريق، وأن لا نقع ضحية مصطلحات اللغة، فمصطلح ما مثل الحداثة في الشعر والأدب، فإننا نعني به حداثة القصيدة العربية بمعنى تجديدها بأن تكون قصيدة حرة ذات تفعيلية، موسيقى لا تلتزم، بشكل مطلق، ولكنها تتحرك وتحمل خصائص القصيدة العربية، وتحمل أيضاً قافية بشكل أو آخر... ومنوجهة نظري فهذا تحديث في الشكل وليس في المضمون، أما الحداثة التغريبية التي يدل عليها المصطلح فتلك قضية تتعلق بمفاهيم فلسفية... قد يكون الذين يروجون لها - إذا أحسنا الظن - محاولة منهم للتميز والتصادم ومدعاة للبروز، وقد يكون - إذا أسأنا الظن - مجرد أدوات هدامة تنقل أطروحات تهدف إلى تحطيم بنييتنا الثقافية وأسسنا

(٥) الحداثة في الشعر، يوسف الخال، ص ١٥.

(١) مجلة الآداب، ع ١٢، ديسمبر، ١٩٧٩م، وفيق رعوف، ص ٥٢.

(٢) مجلة الشرق، ع ٣٦٩، في ١٤٠٦/١٢/٣هـ، سعيد السريحي، ص ٢٦.

الحضارية والدينية)<sup>(٣)</sup>، وفي نفس السياق يقول آخر: (( الحادثة نوعان: حادثة يراد بها الإضافة التي تشمل الصورة والمضمون في العمل الفني والأدبي... وهذه الحادثة نؤيدها... أما الحادثة الثانية: فهي الحادثة التي يراد بها الانفصال التام عن الجذور، وهدم كلما هو قديم، وهذه الحادثة، نحاربها ونحذر منها...))<sup>(١)</sup>، ويقول آخر: ((إذا كانت الحادثة تعني التجديد في الشكل الشعري، وفي الصور والأمثلة، في التكتيك، وفي الرؤية فأهلاً بها. أما إذا كانت ما يطرح في الساحة الآن بما فيها من معميات والغاز باسماً لابتعاث والانبثاق الدلالي، أو التفجير اللغوي الخارج على السائد والمألوف، فهو عبث، والعبث لا يخدم قضية، ولست أدري كيف يمارس العبث إنسان لم يخلقه الله عبثاً))<sup>(٢)</sup>، وأعتقد أن هذا التقسيم للحادثة - أدبية/فكرية - هو تقسيم لمظاهر الحادثة، فيكون بهذا المعنى ناقصاً ويحتاج إلى أقسام أخرى: حادثة سياسية، واقتصادية، واجتماعية.... الخ، لأن للحادثة مظاهر وأشكال في جميع المجالات. أما إن عُنِيَ بهذا التقسيم أنه تقسيم حقيقي لذات الحادثة، فهذا التقسيم غير صحيح. بدليل أن كبار مفكري الحادثة لا يرون ولا يعتقدون بهذا التقسيم، فخذ مثلاً أدونيس فهو يقول: ((إن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاجها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، ليست تلك التي تسايهه في حياته الجارية، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة أي تصدمه، تخرجه من سباته، تفرغه من موروته وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها، أي

<sup>(٣)</sup> مجلة الحرس الوطني، ١١١٤، جمادي الأولى، ١٤١٢هـ، إبراهيم العواجي، ص ٩٨.

<sup>(١)</sup> صحيفة الأنباء الثقافية، ١٩٨٩/٢/١١م، فرّاج الطيب، ص ١٩.

<sup>(٢)</sup> صحيفة الندوة، الأحد، ١٤٠٧/٥/٢٥هـ، علي النعمي، ص ٧.

من أجل خلق الإنسان العربي الجديد<sup>(١)</sup>، وهذا محمد عابد الجابري يصرح بقوله: (( إن الحداثة في جوهرها ثورة على التراث القديم، تراث الماضي والحاضر من أجل خلق تراث جديد. والحداثة اليوم في العلم كما في الأدب والفلسفة والمناهج والاجتماع.... الخ، لا وطن لها، أو على الأقل لم تعد محصورة ولا قابلة للحصر، فیرقعة من الأرض.... إن الحداثة تبدأ باحتواء التراث وامتلاكه، لأن ذلك وحده هو السبيل إلى تدشين سلسلة من القطاعات معه، إلى تحقيق تجاوز عميق لها إلى تراث جديد نصنعه... الحداثة اليوم ديدن الحياة في كل مجال: الحداثة الفكرية ضرورية لإنتاج المعرفة، ضرورة للتجديد والاجتهاد في كل ميدان، في ميدان الدين كما في ميادين العلم والفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد...<sup>(٢)</sup> )) وأستشهد بقول حداثي آخر وهو (نذير العظمة)<sup>(٣)</sup> إذ يقول: (( لا يمكن للإنسان أن يقبض على معنى التطورات الأدبية في مجتمع من المجتمعات في عزلة عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذا المجتمع. إن موت الأشكال الشعرية القديمة وأغراضها هو علامة على انهيار نظام الفكر القديم والتركيب الاجتماعي المصاحب. وولادة الشعر الجديد في فترة ما بعد الحرب الكونية الثانية تأتي كمرحلة من مراحل تجدد وتطور الفكر والأدب العربيين<sup>(٤)</sup> )) وبهذه الأقوال وغيرها الكثير يثبت أن تقسيم الحداثة - أي ذات الحداثة - إلى حداثة أدبية، وحداثة

<sup>(١)</sup> زمن الشعر ص ٧٦.

<sup>(٢)</sup> حوار المشرق والمغرب، حسن حنفي ومحمد عابد الجابري وآخرون، ص ٧٠.

<sup>(٣)</sup> نذير محمد فوزي العظمة، باحث في الأدب العربي والدراسات الإسلامية، ولد في دمشق عام (١٩٣٠م)، تخرج في كلية الآداب في الجامعة السورية في قسم اللغة العربية عام (١٩٥٤م)، وأتم دراسته العليا في أمريكا حيث نال الماجستير في عام (١٩٦٣م) ومن بعدها الدكتوراه، وعمل أستاذاً في أمريكا والمغرب، ثم استقر أستاذاً في جامعة الملك سعود في الرياض منذ عام (١٩٨٣م)، وله مؤلفات كثيرة منها: المعراج والرمز الصوفي، والخالدون وغيرها. ينظر: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبد القادر عياش، ص ٣٦٢، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، ٦/ ٣٥٤.

<sup>(٤)</sup> مدخل إلى الشعر العربي الحديث، نذير العظمة، ص ٩٥، ٩٦.

فكرية، هو تقسيم غير صحيح. ولكن الحداثة فكر شمولي له مظاهر وآراء في جميع المجالات. وما الأدب إلا مظهر من مظاهرها، مع كونه وسيلة من وسائل نشر الحداثة ومفاهيمها. وهناك بعض الباحثين يعتقد أن الحداثيين يستخدمون الأدب كشعار وستار يستترون خلفه لكي يصلوا بعد ذلك إلى مقاصدهم الحقيقة، لأنهم لا يستطيعون التصريح بما يريدونه من تغييرات في جميع المجالات، لأن ذلك قد يثير مشاكل كثيرة ضدهم، فيدخلون من باب الأدب لأنه أقل شأنًا في مجتمعاتنا الإسلامية، إذ هو قطعاً ليس كالجانب الديني المباشر أو السياسي أو الاجتماعي أو غيرها من المجالات، ولكنه في نفس الوقت محبوب للنفوس، فالشعر مثلاً ديوان العرب كما يقال، ويستطيعون من خلال الأدب، وبتصادمية أقل - إن صح التعبير - أن يتطرقوا لجميع المجالات سائلة الذكر، ويستمررون على هذا إلى أن تنتهي النفوس لتقبل الطرق المباشرة لتلك النواحي<sup>(١)</sup>. وأعتقد أن هذا الرأي فيه الكثير من الصحة، ولكنه لا يشمل جميع الحداثيين، فإن منهم من عمل بالفكر الحداثي من ناحية اختصاصه الأدبي، وهو وإن كان بذلك داخلياً بالمعنى العامل للحداثة، ولكن ما أقصده أنه عندما طبق النظرة الحداثية للأدب لم يقصد الاختفاء خلفه لتحقيق هدف أكبر. لأن هذا الأمر غالباً ما نجده عند منظريهم وكبار مفكري الحداثة، لا عند الشعراء العاديين وأمثالهم.

(١) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام من ص ٣٥-٥٢، وكذلك مقدمة الكتاب، وكتاب الحداثة والتراث، من